مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الاذاعـــــــة

التاريخ : ١٩٩٣/١١/٢٠

هل كان السادات منحازا للفنانين .. معاديا للمثقفين ؟

هل كان السادات زعيما للمثقفين ام معاديا لهم ؟ هل كان فنانا ـ كما اطلق عليه بعض النقاد واصدروا كتبا بنفس العنوان ـ ام كان يهوى الانتماء لقبيلة الفنانين لانه بدأ حياته العملية بالتمثيل فى فيلم سينمائى وانشا عيدا للفن والفنانين ووهب الالقاب والدرجات العلمية مثل الدكتوراه الفخرية وشهادات التقدير والرتب العسكرية لعدد من الفنانين .

من ناحية اخرى هل انصف السادات المثقف المصرى وهل كان يرى ضرورة لوجوده ؟ هذا السؤال الضخم بحثت عنه رسالة الدكتوراة التى قدمتها الباحثة نادية بدر الدين ابو غازى بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ونالت عنها درجة الدكتوراة مع مرتبة الشرف تحت عنوان « الدولة والثقافة فى مصر ، دراسة السياسة الثقافية وانعكاساتها على البيئة الفكرية (١٩٧٠ ـ ١٩٨١) .

● وطبعا كان لابد للباحثة ان تفرغ ست سنوات لقراءة الواقع الثقافى والفنى فى مصر طوال فترة البحث قراءة متانيه من خلال الانتاج الثقافى وسياسات وزراء الثقافة المتعاقبين والطريف فى الدراسة ان أبا الباحثة الفنان المفكر الراحل بدر الدين ابو غازى تولى مسئولية وزارة الثقافة فى مستهل السبعينات .

وقد اوردت الباحثة كثيرا من عباراته لتوضح رؤيته ومفهومه للثقافة والفنون ، كما رصدت خطابات بقية الوزراء ومقولاتهم وتصريحاتهم هذا فضلا عن استماعها لكل خطب الرئيس السادات طوال فترة تولية رئاسة الجمهورية من اكتوبر ١٩٧٠ ـ اكتوبر ١٩٨١) .

□ تقول الباحثة :

ـ فى مستهل سنوات السبعينات وخلال العام الأول لم يكن السادات قد امسك بعد بزمام الأمور بالكامل وجاءت السياسات العامة للنظام امتدادا ـ على نحو اواخر ـ لسياسات الفترة السابقة

واستمرت شعارات الاشتراكية والقومية وبعض فلسفاتها ماخوذا بها .. وقد عكس مفهوم وسياسات العمل الثقافى فى فكر وزير الثقافة بدر الدين ابو غازى الذى اتخذ موقفا يحمل مقومات الثقافة فى ابعادها التنظيمية المختلفة ويميل الى الاخذ بما جاءت به مواثيق المنظمات الدولية الاقليمية ومواثيق العمل الثقافى

وفى اعقاب حرب اكتوبر ١٩٧٣ طرح السادات مفهوما للفن يرتبط بعناصر الترف والابهار والامتاع وتبنى الدعوة لاقامة المشاريع الفنية التى تتسم بالبذخ والضخامة ، وتعتمد على فنون الابهار المختلفة ، وقد وجد هذا المعنى اصداء له لدى عدد من وزراء الثقافة فى مقدمتهم يوسف السباعى وعبد المنعم الصاوى حيث تجلت فى فترة توليهم مهام الشئون الثقافية ملامح للوحدة فى المفاهيم المطروحة

ففى فترة السباعى وجد قدر كبير من التناسق بين المفهوم الذى طرحه السادات وتردد فى خطبه واحاديثه وبين المفهوم الذى تبناه السباعى من جانب وفى سياساته الفعلية من جانب اخر .

فقد جعل من الامتاع هدفا اساسيا للفن ايمانا بنظرية « الفن الجذاب » التى وجدت تطبيقها العملى فى سلسلة من المشروعات والسياسات التى انتهجها السباعى .

وتستطرد الباحثة قائلة : استمرت مظاهر الوحدة فى الراى خلال الفترة

التى تولى فيها الصاوى مسئولية الشئون الثقافية حيث تبنى الرؤية ذاتها التى تجعل من الفن امتاعا وابهارا . ووجدت هذه الرؤية تجسيدها العملى فى سياسات تنفيذية حرصت على الالتزام بتوجهات السادات وتوافقت مع السعى الى اقامة المشروعات الفنية التى غلبت عليها مظاهر البذخ والاقتداء بما هو سائد فى الولايات المتحدة والدول الغربية بغض النظر عن النفقات المادية وقيمة العائد الثقافى وتلاقت رؤية المسئولين عن النشاط الثقافى فى تلك الفترة

كذلك تلاقت رؤية منصور حسبن الى حد كبير مع رؤية السادات للفن ولمظاهر الاحتفال به حيث شهدت فترة توليه مسئولية الثقافة الاهتمام باقامة الأمسيات الشعرية والمهرجانات الفنية الكبيرة التى تنظم فى اطارها الاوبريتات الغنائية ويحشد لها عدد ضخم من الملحنين والمؤدين والفرق الفنية .

السادات ورشاد رشدى

● ورصدت الباحثة مواقف بعض الشخصيات التى نظرت ـ بتشديد الظاء ـ وبررت لتوجهات السادات الفكرية والثقافية والفنية وابرزهم الدكتور رشاد رشدى الذى وضع اتجاه السادات وموقفه من الفنون تحت نظرية « الفن للفن » حيث جعل دور الفن هو تحقيق المتعة والجمال « فالفن يعطينا جرعة

من الجمال الفنى فى النهاية كله جمال ، وهذا الجمال ينسق نزعاتنا .

□ وقد شكلت هذه الرؤية موقفه من مختلف مجالات الابداع ومن مهام المثقفين ومسئولياتهم فمن جانب اكد « رشاد رشدى » على تناقض الاختلاف بين العقيدة الفكرية والفن بقوله : « انا اتمنى ان تختفى كلمة اليمين وكلمة اليسار من اللغة العربية وان ترجع الى الوطنى والقومى كذلك ارجو ان تتخلص من « الايديولوجيات » لانها تقتل الفن » !! كما يقول « انا غير مقتنع بالمثقفين واعتقد انهم جماعة لايقراون بعيدون عن الجماهير وللاسف مجلات وزارة الثقافة تخاطب هذه الفئة » .

وفى هذه الفترة كان رشاد رشدى مستشار السادات ويلاحظ هنا مدى التطابق فى تصريحات السادات ومستشاره .

□□ تقول الباحثة :

ـ الرئيس السادات فى اغلب خطبه واحاديثه التى وجهها فى مناسبات ثقافية وفنية مختلفة ـ كان يهوى استخدام مصطلح « الفن » وليس « الثقافة » والى التوجه الى الفنانين وليس المثقفين ومن خلال مقارنة مختلف السياقات التى وردت فيها مصطلحات ثقافة ، مثقفين ، فن ، فنانين نتبين ان مصطلحى الفن والفنانين كانا الاكثر تداولا وترددا فى الخطب والاحاديث .

كما ظهر هذا فى تكريم فنانى المسرح والسينما والمطربين على حساب اهتمامه بالمثقف المفكر او الكاتب .

□□ وتؤكد الباحثة ان يوسف السباعى وعبد المنعم الصاوى من اكثر الوزراء الذين وافقوا السادات على مفهومه للفن وصاغوا على منواله منهجهما فى العمل وقرن اكتساب الخبرة والمعرفة والفائدة بتوافر المتعة وتبنى حسب تعبيره وجهه نظر ، يمكن ان نسميها نظرية الفن الجذاب ، فالفن لايكون فنا إلا إذا امتع الناس والفن يجب ان يفيد ولكن من خلال المتعة » .

.. والمثقفون !!

● اما مصطلح الثقافة و« المثقفين » فيعكس عند السادات جانب الفكر والعلم والبحث العلمى اكثر من تعبيره عن الابداع الادبى والفنى ، فاستخدامه للثقافة ياتى عادة فى سياق الحديث عن تطويع التكنولوجيا العصرية والاستفادة منها وتطوير التعليم واساليبه ومناهجه ، كما يجعل فى مقدمة مهام المثقفين بذل الجهود فى مجال البحث العلمى والتكنولوجيا ومحو الامية .

ولذا كان حديث السادات عن الفن والفنانين قد اقترن عادة بعبارات التقدير والاعجاب والمديح فإن استخدامه لمصطلح « مثقفين » ارتبط غالبا بنقد مسلكهم وعادة ما كان يستخدم كلمة « المثقفين » كوصف للماركسيين » .. وطبعا نفس الشىء بالنسبة لوزراء الثقافة المتوالين بعد

بدر الدين ابو غازى فقد لاحظت الباحثة ان جميعهم تناول الثقافة بعمومية شديدة ..

ثقافة المتطرفين

● ورصدت الباحثة ثقافة التيارات السياسية خلال حقبة السبعينات خاصة بعد التحول السياسى الذى حدث من المنابر الى التعدد الحزبى ورصدت من خلال قراءة المطبوعات التى كانت تصدرها الأحزاب والتيارات مفهوم الثقافة لديهم .. ولاحظت الباحثة اهتمام الماركسيين والناصريين بالثقافة كمفهوم شامل وكابداع فكرى وادبى وفنى فى بناء الانسان والمجتمع ، بينما لاحظت ان حزب الاحرار تناول الثقافة فى صحيفته باعتبارها شيئا هامشيا وغالبا ما كانت صفحة الفن والثقافة تكتفى بلخبار الفنانين الخفيفة .. اما التيار الاسلامى فقد غرس بذور الفكر الانعزالى او النزعة الانعزالية فى الثقافة كابرز ملامح الحل الاسلامى البديل .. فقد طالب هذا التيار من المسلمين مقاطعة وسائل الاعلام والثقافة فى حين عجز هذا التيار عن تقديم البديل فى حالة المقاطعة فقد اكتفى بالنقد الحاد والقاسى عازفا على مشاعر المسلمين الدينية الحميمة ، وفى معظم الأحوال كان مفهوم الثقافة يطرح لدى قادة التيار من منطلق انه من المهم والضرورى لن يعلم الداعية الاسلامى كل شىء لما فى التطبيق فقد اقتصر مفهوم الثقافة على الادب الاسلامى اى الشعر وفنون النثر .

ويلاحظ هنا ان الباحثة لم تفصل مواقف هذا التيار من الابداعات الثقافية المختلفة كموقفه من الفن التشكيلى مثلا او من الدراما والمسرح الجامعى الذى ركز هذا التيار جُل اهتمامه لمحاربته وسط الطلاب .

عيد الفن والثقافة ..

● وفى ختام الدراسة تؤكد الباحثة ان السادات اولى اهتماما خاصا بالفنانين - خاصة ممثلى السينما والمسرح - بدءا من عام ١٩٧٦ الذى اقيم فيه اول عيد للفن ، ثم اصبح ٨ اكتوبر من كل عام عيدا للفن واضيفت له بعد عامين كلمة « الثقافة » وفى هذا العام منحت الدكتوراة الفخرية لاثنين من المثقفين ، وشهادات الجدارة لعشرة فنانين وشهادات التقدير لـ ٨ فنانين ، مثل رتبه لواء والدكتوراة لمحمد عبد الوهاب وتوفيق الحكيم وشهادات لزكى طليمات ويوسف وهبى وغيرهما .

محمد الغيطى

السادات مع الاديب والناقد رشاد رشدى

نادية بدر الدين ابوغازى